المحاضرة الرابعة

الوجه المرضي عند الله ، وبهذا كله يحقق المسلم معنى اشهد ان لا إلـه إلا الله بالقـول والعمل فيكون صادقاً في شهادته .

٢٤ – وتزداد معاني العبودية ويرسخ اصلها ويعظم اثرها بقدر علم العبد بمـدى فقره وحاجته إلى الله وعدم استغنائه عنه طرفة عين ، ويزداد حب العبد لله وخضوعه له بقدر معرفته بكمال الله وعظيم نفعه ونعمه عليه ، وتفكره في آلائـه التي لا تعـد ولا ولا تحصى **« وما بكم من نعمة فمن الله »** وفي تفكره في صفاته ومعاني اسمائه الحسنى .

٢٥ – وبقدر امتلاء القلب بمعاني العبودية يحترز من عبودية غير الله تعالى حتى يصبح عبداً خالصاً لله وهذه أسمى درجة ينالها الانسان ولـذلك وصف الله تعالـى رسوله الكريم بوصف العبودية في ارفع منازله ، وصفه بها في مقام تنزل الوحي عليه ، وحين الدعوة إليه ، وحين اسري به صلى الله عليه وسلم وعرج بـه إلى السماء ، قال تعالى **« فاوحى إلى عبده ما اوحى »** **« وانه لما قام عبد الله يدعـوه كادوا يكونون عليـه لبداً »** **« سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى »** .

ثانيا – توحيد الربوبية

٢٥ مكرر – كلمة الرب تدل على جملة معاني منها السيد ومالك الشيء وموجده والمتصرف فيه، والمربي لغيره والمتكفل بمصلحة الانسان، وصاحب السلطان والسيادة النافذ امره في غيره . ومعاني الربوبية هذه وما تتضمنه أو تستلزمه من معاني اخرى لا يوصف بها ولا يملكها على وجه الحقيقة والكمال إلا الله تعالى، واما غيره فهو مربـوب لله وإذا وجد فيه شيء من معاني الربوبية فعلى وجه المجاز والعارية ، فان كل ما سوى الله مخلوق لله ، منه يستمد وجوده وبقاءه ، وكل ما عنده من صفات الكمال المناسبة للمخلوق ، فالله تعالى هو رب العالمين على وجه الحقيقة ، فلا رب سواه ، فهو الخالق المحيي المميت النافذ امره وحكمه في جميع خلقه ، بيده الملك وهو على كل شيء قدير، يتصرف في الكون كما يشاء لا معقب لحكمه ولا لتصرفه ، وهو القائم على شؤون خلقه والمتكفل بما يصلحهم ، وهو القادر على النفع والضرر ، إذا اراد نفـع احـد فلا راد لفضله ، وإن اراد بأحد غير ذلك فلا مانع له من ذلك قال تعالـى **« وإن يمسسك الله**

---

(٣٢) الانعام /١٧

يضر فلا كاشف له إلا هو ، وإن يردك بخير فلا راد لفضله »(٣٢) فالله تعالى هو المتفرد بالعطاء والمنع والنفع والضر ، وكل ما عدا الله فإنه فقير إليه محتاج إليه « **يا أيها الناس انتم الفقراء إلى الله** » فالفقر وصف ذاتي لكل مخلوق كما أن الغنى وصف ذاتي لله رب العالمين :

دلائل توحيد الربوبية

٢٦ – والدلائل الدالة على ربوبية الله وتفرده بها وعدم مشاركة احد له فيها كثيرة جداً ، فما من شيء في الكون من اصغر ذرة إلى اكبر جرم الا وهو يشهد ان الله هو رب العالمين وبالتالي فهو الإله الحق للعالمين .. إن هذا الكون العجيب الغريب المتناسق المنظم يقول بلسان الحال : إن له خالقاً عظيماً هو الله تعالى ، وإن العقل السليم لا يمكنه اصلا ان يتصور ان هذا الكون وجد بلا موجد وحدث بلا محدث ، فان قبول هذا التصور مخالف لاي عقل سوي . ان عقولنا تأبى قبول قول من يقول : إن هذا حدث (صدفة) بأن اثرت الأمطار في جبل فحفرت فيه حفراً صارت غرفاً ، وان عقلنا يرفض من يزعم ان هذا الكتاب حدث بفعل تجمع الحديد وانصهاره بفعل النحارة ثم تشقق الحديد المنصهر فصار حروفاً ثم تجمعت الحروف ووقعت عليها مادة سوداء ثم حصلت عجينة الخشب بسبب سقوط الأشجار وبفعل الأمطار ثم جفت وصارت صحائف فجاءتها ريح وضعتها على الحروف ثم ان هذه الحروف انطبعت على الصحائف بعد تغير ترتيبها بعد طبع كل صحيفة بفعل الرياح .. ان هذا الكلام لا يصدقه عاقل، فكيف يصدق ان هذا الكون الهائل وهذا الانسان العجيب ، وهذه المخلوقات الغريبة من حيوان ونبات كل ذلك حدث صدفة بلا موجد ولا مدبر ولا منظم ، ان هذا شيء لا يمكن قبوله ابداً . اذكر ان احد الطلاب سألني لماذا لا يمكن ان يوجد هذا العالم صدفة بفعل المادة ؟ فأجبته انظر إلى هذه السبورة وهي امامك ، – وكان عليها بعض الكتابات – لو قال انسان : إن هذه الأسطر على السبورة لم يكتبها كاتب وإنما حدثت صدفة بأن حملت الرياح ذرات التراب ودخلت بها من نوافذ الغرفة واسقطتها على السبورة فظهرت بشكل كلام مفهوم مكونا هذه الأسطر ، ايمكن لعاقل ان يصدق هذا القول ؟ فقال لا ، قلت فاذا كان هذا غير مقبول ويرفضه العقل ، وهو شيء بسيط وتافه للغاية فكيف يمكن لعقل سليم ان يصدق ان المادة الصماء العمياء ابدعت هذا الكون او ان هذا الكون بكل ما فيه انبثق من هذه المادة ؟ ولهذا فإن الإقرار بربوبية الله وانفراده بها امر شائع عند البشر ومركوز في فطرة كل انسان ، ويعترف به حتى

المشرك ، قال تعالى « **ولئن سالتهم من خلقهم ليقولن الله فانى يؤفكون** »(٣٣)و قال تعالى « **ولئن سالتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم** »(٣٤) .

القرآن الكريم وتوحيد الربوبية في النفوس

٢٧ – والقرآن في آياته يذكر الناس بما هو مركوز في فطرهم ويقرره وهو ان الله وحده هو رب العالمين ، قال تعالى : « **قالت رسلهم افي الله شك فاطر السموات والأرض** »(٣٥) ومن انكر وجود الخالق عز وجل بلسانه فانه مستيقن في باطنه بوجود الله تعالى، قال تعالى مخبراً عن امثال هؤلاء الجاحدين المنكرين « **وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلماً وعلوا** »(٣٦) فالانكار والجحود من البعض لوجود الخالق هو انكار وجحود محض على وجه المكابرة والعناد ولا يعني خلو فطرة الانسان من الاحساس العميق بوجود الخالق ، ولهذا إذا زالت الغشاوات عن فطرة الإنسان وزالت مكابرته وعناده فإنه يجد نفسه بلا اختيار منه متوجهاً إلى الله هاتفاً بلسانه مستنجداً به بكل كيانه . اذكر اني قرات في مجلة كانت تصدر في ايام الحرب العالمية الثانية حديثاً لصحفي اجراه مع احد الطيارين وقد سأله الصحفي عن احرج الساعات التي مرت به في اثناء قيامه بواجبه وما كان شعوره في تلك الساعة الحرجة فاجابه الطيار بانه نشأ في بيت ليس فيه ما يذكره بالله ، فقد كان ابوه ملحداً ونشأه على الالحاد وكذا كان اخوته وعند انخراطه بسلك الطيران استمر في الحاده وانكاره لكل شيء عدا ما يراه بعينه ويلمسه بيده وفي اثناء قيامه بأعماله الحربية احس ان طائرته توشك ان تسقط وان الهلاك محتم فان لم يهلك بسقوط الطائرة فانه سيهلك على يد العدو إذا وصل إلى الارض سالماً . قال الطيار ، في تلك الساعة الحرجة لم افكر في شيء على الأرض من اهل او قريب او صديق او زوجة ، وانما رايت نفسي وبلا شعور مني متوجهاً الى الله تعالى هاتفاً باسمه طالباً العون منه وهكذا كان فقد نجوت باعجوبة والفضل في ذلك لله وحده الذي لم افكر فيه قط منذ ثلاثين سنة وهي عمري الآن . إن هذه القصة صحيحة على ما اعتقد إذ لا داعي لتلفيقها ، بل وإنها تتكرر في كل يوم مئات المرات باشكال اخرى . إن الانسان الغافل الناسي الذي لا يخطر بباله

---

(٣٣) الزخرف /٨٧

(٣٤) الزخرف /٩

(٣٥) ابراهيم /١٠

(٣٦) النمل /١٤